٣ ـ كليلة ودمنة

نقد وتعليق

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

٨ — ٨٠ : ١ — ٥ « فليث الذئب وابن آوى والغراب أياماً لا يصيبن شيئاً مما كن يعشن به من فضول الأسد ، وأصابهم جوع وهزال شديد . فعرف الأسد ذلك منهم فقال : جهدتن واحتجتن إلى ما تأكلن . فقلن ليس هنا أنفسنا ونحن نرى بالملك ما نرى ، ولسنا نجد للملك بعض ما يصلحه . قال الأسد : ما أشك فى مودتكم ومحبتكم »

وهذه صورة عجيبة من التعبير لم أدر لها سراً ، وكان أولى بابن المقفع أن يجعل الضمائر العائدة إلى هذه الجماعة من الحيوان على طراز واحد ، كما هو الأصل فى إرجاع الضمائر . أما أن يجعلها للمؤنثات ثم لجماعة العاقلين ثم للمؤنثات أخرى ثم لجماعة العاقلين رابعة ، فهذا عجيب لم نره لكاتب غيره

وقد ينزل العرب غير العاقل منزلة العاقل ، وابن المقفع جعل هذه الجماعة مرتين من غير العاقلين ومرتين من العاقلين فأسرف فيما أجازه القوم إسرافاً

وألفيته يعاود هذا المذهب ويراجعه . ففى ٨٦ س ٧ « فلتأت سائر الطير فلنذكر ذلك لهم . فأجابوه إلى ذلك وأعلمهن ما أصابه وحل به » الضميران فى « لهم » و « أعلمهن » عائدان إلى سائر الطير . وفى ٩١ س ٤ « ودنا منهن ليبصرهن ، فتناوله بعضهم وضرب به الأرض » الضمائر راجعة إلى : « جماعة من القردة » فى الصفحة السابقة . وفى ١٥٢ — ١٥٣ « فبينما هم فى ذلك إذ وقع لهم غراب فقال بعضهم : انتظرن حتى يأتينا هذا الغراب » الضمائر مرجعها « جماعة من الطير » . وغير ذلك كثير

٩ — ٧٤ : ٥ « فلما فرغ دمنة من تضريب الأسد على الثور » التضريب هنا : التحريض ، وفى اللسان[1] : « والتضريب تحريض للشجاع فى الحرب . يقال ضربه وحرضه » والتضريب أيضاً : الإغراء ، وفى اللسان[2] : « والتضريب بين القوم : الإغراء » وفى نسخة بولاق ص ٤٣ « من تحميل الأسد على الثور » . وهى الرواية الجيدة ؛ لأنها لغة ابن المقفع ، ولازمة من لوازمه الكتابية . فقد جاء فى ص ١٠١ س ٧ « ولكن قتل لتحميل الأشرار » وفى س ١١ من الصفحة عينها « من تحميله إياك عليه وفى ص ٢٤٩ س ٨ : « تحميل الملك على » وفى س ١٤ من الصفحة نفسها « ليحملوا عليه الأسد » فهذا هذا

وقد أراد ابن المقفع بكلمة « التحميل » الإغراء » . ومن العجب أن ابن منظور وصاحب القاموس لم يذكرا هذا اللفظ فى مادته ، بل ذكرا فى هذا المعنى « حمله على الأمر يحمله حملاً فاحتمل : أغراه به[1] » ثم انفرد ابن منظور[2] بقوله « وحملت على بنى فلان إذا أرشت بينهم » ، والتأريش : التحريش والإغراء

١٠ — ٨٦ : ٤ « فأعينونى وظافرونى » وبدلها فى نسخة بولاق ص ٤٨ : « فأعنّنى » ، و « ظافره » بمعنى أعانه وظاهره ، لم يذكرها صاحبا اللسان والقاموس ، وقاربها ابن منظور بقوله[3] « وتظافر القوم عليه وتظاهروا بمعنى واحد » فنستطيع أن نزيد فى معجمنا المنتظر هذه الكلمة ، وابن المقفع ثقة يحتج بقوله : وهو دليل أن المعاجم المتداولة لم تستوف ولم تستوعب كل أصول اللغة وفروعها إلا ما نبهت على عدم وروده . فذا مرجعه إلى استيثاق الرواة الأولين واستقصائهم

١١ — ٩٥ : ٧ « ليس بمستكبر لما أن تختطف بزاتها الغيلة » ابن المقفع ـ فيما أشعر ـ لا يقول هذه الكلمة بل يقول « بمستنكر » ومما يجدر ذكره أن استكبر الشىء بمعنى رآه كبيراً وعظم عنده ، قولٌ منسوب إلى الإمام ابن جنّى[4] ، ولم يقله عامة اللغويين . واتفقوا أن استكبر بمعنى تكبّر ؛ وفى كتاب الله : « إنه لا يحب المستكبرين »[5] ، « يصدون وهم مستكبرون »[6]

وقد رجعت إلى نسخة شيخو (ص ٩٩) ، فوجدت : « ما أرضا (كذا) يأكل جرذها مثة منٍّ من حديد بمستنكر لبزاتها أن تختطف غلاما »

١٢ — ١٠٧ : ٦ : (إذا جئتنى بالليل من غير نداء ولا رمى ولا شىء يرتاب به) . فما ذلك الرمى ؟ !

(١) لسان العرب (٢ : ٣٩)
(٢) لسان العرب (٢ : ٣٦)

(١) القاموس ولسان العرب (١٣ : ١٨٥)
(٢) فى لسان العرب (١٣ : ١٩٢)
(٣) فى لسان العرب (٦ : ١٩٢ س ٥ — ٦)
(٤) لسان العرب (٦ : ٤٣٩ س ٢٢)
(٥) النحل ٢٣ (٦) المنافقون ٥

الصواب : (ولا رمز) — أى إشارة وعلامة ؛ وقد جاء بدلها فى نسخة بولاق (٥٣) : (ولا إيماء) ، وهو والرمز والإشارة بمعنى

١٣ — ١١٥ : ١٣ ، ١٦ و ص ١١٦ : ١ و ص ١١٧ : ١ ، ١٦ و ص ١١٨ : ٢ ، ٦ : (رأس الخنازير) و (سيد الخنازير) . عندى أنها : (رأس الخبّازين) و (سيد الخبازين)

يؤيد ذلك ما جاء بدلها فى نسخة شيخو السريانية : (فتكلم صاحب المائدة) ، وما هو عند ابن الحبارية (١١٥) :

فأخذ الخبّاز كفّ دمنه وقال : لله العظيم المنّه

وكذلك ص ١١٨ :

فأطرق الخباز لما سمعا ذلك من مقاله وخضعا

وكما يفهم من قول ابن المقفع عنه ١١٧ : ١٢ : (ثم أنت تجترئ أن تقوم بين يدى الملك وتلى طعامه)

١٤ — ١١٦ : ١١ : (ولا مسيء وإن أذنبه بضائره ذنبه) تطبيع ، صوابه : (وإن أذنب)

١٥ — ١٢٠ : ٩ : (فأقر بذنبك وبؤ بإساءتك) : باء بإثمه فهو يبوء به بوءا : إذا أقربه ؛ وفى الكتاب : (إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك) ؛ وفى الحديث : (أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى) — أى أقر ؛ وقال لبيد :

أنكرت باطلها وبؤت بحقها عندى ولم تفخر علىّ كرائمها

وأصل البوء الرجوع ، فمن باء فكأنه رجع إلى الإقرار بعد الإنكار والسكوت[1]

وبهذا أيضاً يفسر قول ابن المقفع فى س ١٥ : (وأن أبوء بما لم أجنِ)

١٦ — ١٢١ : ١١ ، ١٢ (لحفظ الفرخان ذلك بلسان البلخية) البلخية : أهل بلخ ، بفتح الباء : مدينة مشهورة بخراسان[2] والتاء فيه للدلالة على الجمع . وهى عند التحقيق علامة للتأنيث بتقدير الجماعة أو الطائفة كأنك تقول : الجماعة البلخية ، فلما حذفت الموصوف وأقمت صفته مقامه ألحقت بها تاء التأنيث المنبهة على الجمع أيضاً[1] . ومثلها فى ذلك : الإباضية ، والإسماعيلية ، والأشعرية ، والباطنية ، والجبائية . ونحو ذلك كثير من أسماء الفرق الدينية والسياسية

١٧ — ١٢٧ : ١٤ (وأخفت على الشبكة حتى لَجِجْت فيها وصوبحاتى » . لج فلان فى الأمر تمادى عليه وأبى أن ينصرف . فهو فعل اختيارى لا دخل للقسر فيه . والمعنى لا يتجه بهذا . وإنما هو (لِحجْت) بالحاء المكسورة المهملة بعدها جيم . لحج السيف وغيره بالكسر يلحج لحجاً : أى نشب فى الغمد فلم يخرج . وفى حديث على يوم بدر « فوقع سيفه فلحج » أى نشب فيه . ويقال لحج فى الأمر يلحج إذا دخل فيه ونشب[2] . ومن البين أن المراد نشوب الطير فى الشبكة ، مما أعماهن القدر وأعشى أبصارهن

١٨ — ١٢٨ : ١ (ويستنزل الطير من الهواء ، إذا قضى ذلك عليهم) أجرى (الطير) مجرى العاقل لجعل لها ضميره . وهو معروف عند العرب . وفى كتاب الله : « لا الشمسُ ينبغى لها أن تُدرِكَ القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهارِ وكلٌّ فى فلك يسبحون » وفيه : « إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » ، « يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده » ، وقال عبدة بن الطبيب :

إذ أشرف الديك يدعو بعض أسرته إلى الصباح وهم قوم مـــــازيل

جعل للديك أسرة وسماهم قوماً

١٩ — ١٣٠ : ١ (منها عداوة من يجترئان على ذلك كعداوة الأسد والفيل) . وفى نسخة بولاق ٦٢ (منها ما هو متكافئ كعداوة الفيل والأسد) وعند ابن الحبارية ١٢٩ :

« وهو التجازى لا سواه إنما »

الاجتزاء : طلب الجزاء ، قال :

يجزون بالقرض إذا ما يُجتزى[3]

وفى ذلك معنى التكافؤ . والتجازى — كما فى ترجمة ابن الحبارية

(١) نهاية ابن الأثير ولسان العرب : (١ : ٢٨) ؛ ومشارق الأنوار : (١ : ٨٩)

(٢) معجم البلدان

(١) انظر الرضى (٢ : ١٥٢) تجد هذا التحقيق النادر

(٢) نهاية ابن الأثير ، واللسان

(١) لسان العرب (١٨ : ١٥٦)

أصل معناه التقاضي[1] ، والمراد به المقاصة ، فهو كذلك في معنى التكافؤ

٢٠ — ١٣٣ : ١٥ (وكان الضيف رجلاً قد جال الآفاق ورأى الأعاجيب) ، والفعل (جال) لا يتعدى بنفسه . والوجه (جال [في] الآفاق) . وصح جوّل الأرض : جال فيها ، وجوّل في البلاد أي طوّف[2] . فهذا المضعف ورد بالوجهين . وفي القاموس أن جال الشيء : اختاره . وهذا معنى لا يراد هنا

٢١ — ١٣٩ : ٨ (وانقلبتُ ظهر البطن ، وانجررت حتى دخلت حُجرى) فماذا جرّه حتى انجرّ ؟! إنما هي (وانحدرت) أي نزلت في سرعة إلى الجحر

٢٢ — ١٥٠ : ٧ (إن كان بعيداً لم يأمن من معاودته ، وإن كان متكشفاً لم يأمن استطراده ، وإن كان قريباً لم يأمن مواثبته). متكشفاً أي بادياً ظاهراً ، وهي لا تساير الكلام . والصواب (مُكْشِباً) أي دانياً . أكشبك الصيد والرمي وأكشب لك : دنا منك . وعلى هذا الوجه الذي أثبتُّ وردت الكلمة في نسخة بولاق ٦٩ . ويؤيد هذا التصحيح ترجمة ابن المبارية ١٤٨ :

لأنه إن كان منه نازحا أعاد مثل فعله مشابحا
أو كان منه دانياً أو حاضرا واثبه مبادراً مساورا

فكلمة (دانياً) في النظم تقابل كلمة (مكشباً) التي ذكرت

٢٣ — ١٦٥ : ١٦ (فإن الغراب ذو أدب ومكر ومكيدة) . لا وجه لورود كلمة (أدب) بالدال في هذا المعرض . والصواب (أرب) بالراء ؛ ليصح اقترانها بأختيها : المكر والمكيدة . والمقام مقام ذم وتهجين . والإرب بالكسر ، أو بالتحريك : الدهاء والخبث والنُّكر . وفي نسخة شيخو ١٥٨ (فإن الغراب ذا أرب ومكائد[3])

٢٤ — ١٦٦ : ١٥ (فإن الشر يدور حيثما دارت) . هي (حيثما دُرْتَ) .

٢٥ — ١٧١ : ٤ (فابتُليتُ ببلاء حُرّمت على الضفادع) والجملة بهذا الوضع مبتورة ناقصة . وتمامها (حرمت عليّ الضفادع [من أجله]) أي من أجل البلاء . وذلك كما في ص ٧٧ من طبعة بولاق

٢٦ — ١٧٣ : ١ (بل برأيك وعقلك كان هذا ؛ فإن الرجل الواحد أبلغ في إهلاك العدد من كثير العدد من ذوي البأس) . وفي هذه العبارة نقص كسابقتها . وتمامها كما في نسخة بولاق ٧٨ : (؛ فإن الرجل الواحد [العاقل الحازم]) ... الخ . وعند ابن المبارية ص ١٧٤ :

فالرجل اللبيب في الأعداء أبلغ من ألف ذوي فَتَاء[1]

و (اللبيب) هو العاقل ذو اللب

٢٧ — ١٩٠ : ١٢ قول البرهميين الملك حين سألهم تعبير الرؤيا : «فلعلنا — إن استطعنا — أن ندفع ما نتخوف منه» . الوجه (نتخوف) بالخطاب ؛ إذ ليس من شأنهم أن يحكموا في تعبير الرؤيا بهذا الحكم قبل أن يجتمعوا للتشاور والتآمر . وهم قد استمهلوا الملك (ستة أيام) ليتمكنوا من ذلك . والملك هو الذي كان متخوفاً ، لأنه (رأى ثمانية أحلام يستيقظ عند كل منها)

٢٨ — ١٩١ : ٦ «لنجعل دماءهم في أُبْزَن ثم نقعدك فيه» . كلمة (الأُبزن) معربة عن الفارسية ، بفتح الهمزة بعدها باء موحدة ساكنة ثم زاي مفتوحة . وهو الحوض من نحاس يستنقع فيه الرجل ؛ ويعرف في ألفاظنا الدخيلة باسم (البانيو) ، وبالفرنسية : Baignoire ، وبالإنجليزية : Bathing-tub . و (أبزن) أصله في الفارسية : (آبزَن) بمد الهمزة ؛ وتكتب أحياناً (آب زن) ؛ وفسرت في معجم استينجاس[2] بأنها حوض للاستحمام من نحاس أو حديد بطول جسم الإنسان يملأ بماء فاتر طبّي يجلس فيه المريض أو يتمدد

وقد أهمل هذا اللفظ كثير من اللغويين ، منهم الليث ، والجواليقي ، وابن دريد ، والزمخشري[3] ، مع أنه مستعمل قديماً

(١) لسان العرب (١٨ : ١٥٧)

(٢) لسان العرب (١٣ : ١٣٩)

(٣) كذا في أصل نسخة شيخو . والصواب ذو أرب ومكايد)

(١) الفتاء ، بالفتح : الشباب والقوة . وفي الأصل : (عناء) بالعين المهملة والنون

(٢) معجم Steingass الفارسي الإنجليزي ص ٨

(٣) نص صاحب اللسان على إهمال الليث . وأما الجواليقي فلم يذكره في المعرب ، وكذا ابن دريد في الجمهرة ، والزمخشري في الفائق والأساس